أصول توجيه المشكل القرآني عند الكوراني في تفسيره

أ.د. سعد بن مبارك الدوسري(*)

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد حظي علم مشكل القرآن الكريم بعناية فائقة من علماء أمتنا، فأخذوا في دراسته وتحليله وتفسيره والتأليف فيه على امتداد القرون، وحظي بنصيب وافر من الدراسات المتخصصة عبر القرون المختلفة من الناحيتين: التأصيلية والتطبيقية، إما لإزالة ما يشكل فهمه أو يوهم تعارضه عند السامعين، وإما –وهو الأغلب– للرد على الطاعنين الذين أثاروا الشبهات حول القرآن الكريم، تارة بالطعن، وتارة بالتشكيك، وتارة بتخطئة فهم الصحابة والتابعين.

وقد هيأ الله –تعالى– لكتابه الكريم رجالًا أفذاذًا من علماء المسلمين، ينفون عنه انتحال المبطلين وتحريف الغالين، فكشفوا زيف تلك الشبه والأكاذيب، وأزاحوا الستار عن خطرها وكيدها وبيَّنوا ما أشكل فهمه على المسلمين.

وقد اشتهر عدد من المفسرين بتناول مُشكِل القرآن من الناحية التطبيقية، من خلال تفاسيرهم، فقاموا ببيان الإشكال وإزالته من خلال أصول اعتمدوا عليها، ومن هؤلاء المفسرين، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (ت: ٨٩٣هـ) صاحب تفسير (غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني)، وهذا البحث يتناول الأصول التي اعتمد عليها الكوراني في توجيه المشكل القرآني، وقد وسمته بـ: (أصول توجيه المشكل القرآني عند الكوراني في تفسيره).

(*) الأستاذ بقسم القرآن وعلومه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.
البريد الإلكتروني: sdosry@qu.edu.sa

أهمية البحث:

١. التعرف على جهودِ علماء الأمة عمومًا، والكوراني خصوصًا في خدمة كتاب الله تعالى، والدفاعِ عنه.
٢. ندرة البحوث التي اعتنت ببيان جهود الكوراني في بيان مُشكِل القرآن.
٣. في دراسة مشكل القرآن إظهار لجانب من جوانب الإعجاز في القرآن، ففي دفع الإشكالات إظهار لدقائق المعاني، وبيان لفصاحة القرآن وبلاغته وإحكامه.

أهداف البحث:

١. بيان جهود الكوراني في بيان مُشكِل القرآن.
٢. إبراز أصول توجيه المشكل القرآني عند الكوراني.
٣. الكشف عن منهج الكوراني في توجيه المشكل القرآني.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في قواعد المعلومات والكشافات البحثية والمكتبات لم أقف على من تناول بالبحث والدراسة موضوع توجيه المشكل القرآني عند الكوراني في تفسيره، بل الدراسات عمومًا حيال الكوراني محدودة جدًا، لكون التفسير لم يطبع إلا متأخرًا عام ١٤٣٩هـ، وأصل الكتاب حُقّق في سبع رسائل علمية لنيل درجة الدكتوراه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولم يتطرق الباحثون في تحقيق الكتاب إلى أصول توجيه المشكل عند الكوراني.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المناهج الآتية:

١. **المنهج الاستقرائي:** فطبيعة البحث تستلزم استقراء تفسير الكوراني، والوقوف على مواضع توجيه المشكل عنده.
٢. **المنهج التحليلي:** وذلك من خلال تحليل مواضع توجيه المشكل بعد استقرائها وتصنيفها، من أجل الوقوف على أصول توجيه المشكل عند الكوراني وبيان منهجه فيها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثمانية مباحث، وخاتمة:

التمهيد؛ وفيه:

أولًا: تعريف مشكل القرآن.

ثانيًا: ترجمة موجزة للكوراني.

ثالثًا: التعريف بتفسير الكوراني.

المبحث الأول: دفع الإشكال بدلالة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دفع الإشكال بدلالة السنة النبوية.

المبحث الثالث: دفع الإشكال بأقوال السلف.

المبحث الرابع: دفع الإشكال بعلوم القرآن.

المبحث الخامس: دفع الإشكال بدلالة السياق.

المبحث السادس: دفع الإشكال باللغة.

المبحث السابع: دفع الإشكال بدلالة التاريخ.

المبحث الثامن: دفع الإشكال بالاجتهاد.

وأما **الخاتمة** فتشمل النتائج والتوصيات والفهارس.

التمهيد:

أولًا: تعريف مشكل القرآن

تعريف المشكل لغة:

يدور المعنى اللغوي للمشكل حول: المماثلة، والاشتباه، والاختلاط، والالتباس.

قال ابن فارس: "(شكل) الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة. تقول: هذا شكل هذا، أي مثله. ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه"[١].

وقال ابن الأنباري: "وقولهم: قد أَشْكَلَ عليَّ الأمرُ. قال أبو بكر: معناه: قد اختلط بغيره"[٢].

وقال ابن منظور: "أشكل الأمر: التبس"[٣].

وعلى ذلك فالمشكل: الأمر الملتبس المختلط الذي يوقع الإنسان في الوهم، ويجعل الأمور متشابهة لا يظهر منها الوجه الصحيح.

تعريف المشكل اصطلاحًا:

يمكن تعريف مشكل القرآن بأنه: الآيات التي التبس معناها واشتبه على كثير من المفسرين، فلم يُعرف المراد منها إلا بالطلب والتأمل[٤].

الصلة بين المشكل والمتشابه:

المشكل قد يراد به المشاكل للشيء أي المشابه له، وقد يراد به ما غمض ودقَّ عن الفهم، والمتشابه ما اشتبه وأشكل واحتاج إلى بيان – كما سيأتي–، ولا شك أن المتتبع لتعريف المشكل والمتشابه يتبين له وجود علاقة وصلة بين العلمين، ويمكن تحديد هذه العلاقة من خلال الحيثيات التالية:

أولًا: من حيث التعريف اللغوي:

عند النظر إلى أصل الكلمتين في اللغة نجد أن المشكل والمتشابه لفظان متماثلان مترادفان.

---

[١] مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/٢٠٤).

[٢] الزاهر في بيان معاني كلمات الناس، ابن الأنباري (٢/١٥١).

[٣] لسان العرب (١١/٣٥٧).

[٤] انظر: مشكل القرآن الكريم، د. عبد الله بن حمد المنصور (ص٥٧).

قال ابن فارس: "شبه: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا.

يقال: شِبْه وشَبَه وشبيه، والشَّبهُ من الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمُشَبّهات من الأمور:

المشكلات، واشتبه الأمران؛ إذا أشكلا"[١].

وقال – أيضًا –: "شكل: الشين والكاف واللام؛ معظم بابه المماثلة، تقول: هذا شَكْل هذا؛ ومن ذلك يقال: أمر مُشْكل، كما يقال: أمر مُشْتَبه، أي هذا شابَهَ هذا، وهذا دخل في شكل هذا"[٢].

وجاء في القاموس المحيط: "تشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وأمور مُشْتَبَهة ومُشَبَّهَةُ: مُشْكِلة"[٣].

وبعد هذا العرض لتعريف المشكل والمتشابه في اللغة، يتبين اشتراكهما في معنى المماثلة المؤدية إلى الالتباس غالبًا.

ثانيًا: من حيث الواقع والتطبيق العملي للعِلْمَيْن (المتشابه والمشكل):

وهنا – أيضًا – يتبين مدى الارتباط الوثيق والعلاقة المتينة بين المشكل والمتشابه؛ لاحتواء كتب المتشابه على ما أوهم الاختلاف والتناقض، وتناول كتب المشكل للمتشابه من الآيات.

---

(١) مقاييس اللغة (٢٤٣/٣).

(٢) المصدر السابق (٢٠٤/٣).

(٣) (٢٨١/٤).

ثالثًا: من حيث التعريف الاصطلاحي لهما:

اختلف أهل العلم في بيان مدى الصلة بين المشكل والمتشابه نظرًا لاختلافهم في مفهوم المتشابه، وكذا الاختلاف في تعريف المشكل؛ وهل هو عام في كل ما غمض ودق عن الفهم؟ أو هو خاص فيما أوهم التعارض والاختلاف، ومع هذا الاختلاف يصعب تحديد الصلة بينهما [١].

فمن العلماء من عدّهما علمًا واحدًا، كابن قتيبة، حيث قال في "تأويل مشكل القرآن" في معنى المشكل: "إنه سمي مشكلًا لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره، فأشبهه وشاكله"، ثم عمّم المشكل؛ فقال: "ثم قد يقال لما غمض – وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة – أي جهة دخوله فيما يشبهه –: مشكلًا"، ثم تحدث عن المتشابه؛ فقال: "وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر والمعنيان مختلفان"، ثم عمّم المتشابه؛ فقال: "ثم قد يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشَّبه بغيره"[٢].

ومن خلال التعريفين المُعَمَّمَيْن للمشكل والمتشابه يتبين أن ابن قتيبة يرى أن المشكل والمتشابه لفظان متماثلان مترادفان، ولذلك قال: "ومثل المتشابه المشكل"، والجامع بينهما الغموض والخفاء[٣].

وقد يقال: إن الذي حمل ابن قتيبة على هذا هو مراعاته للتعريف اللغوي لهما.

وذهب إلى عدم التفريق بين المشكل والمتشابه جمع من العلماء؛ كالقاضي أبي يعلى[٤]، والباجي، والشاطبي[٥]، والزركشي [٦].

---

(١) جدير بالذكر أن المراد بالمتشابه هنا: المتشابه النسبي أو الإضافي، إذ إن المتشابه الحقيقي لا توجد بينه وبين المشكل صلة؛ لأنه مما استأثر الله بعلمه، بل إن بعض أهل العلم يقول ليس للمتشابه الحقيقي علاقة بالتفسير، لأن التفسير مرتبط ببيان المعاني، والمتشابه الذي استأثر الله بعلمه مرتبط بالمغيبات وهذا لا يعلمه إلا الله.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ص١٠١-١٠٢).

(٣) انظر: مقدمة "باهر البرهان" للنيسابوري، د.سعاد بابقي (١٤٩/١).

(٤) انظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى (١٥٢/١).

(٥) انظر: الاعتصام، الشاطبي (٧٣٦/٢).

(٦) انظر: البرهان، الزركشي (٦٩/٢).

قال الباجي: "المتشابه: هو المشكل الذي يحتاج في فهم المراد به إلى تفكر وتأمل"(١).

وقال الزركشي: "والمتشابه مثل المشكل؛ لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره وشاكله"(٢).

ومن أهل العلم من يرى أن العلاقة بين المشكل والمتشابه بالعموم والخصوص، فذهب بعضهم إلى أن المتشابه أعم من المشكل، وعَدَّ المشكل نوعًا من أنواع المتشابه، وينسب هذا إلى الرازي، الذي يذهب إلى أن المتشابه عام يشمل المجمل والمؤول والمشكل (٣)، وإلى هذا ذهب الزرقاني، وحكى اختيار المحققين له(٤).

ويذهب بعضهم إلى أن المشكل أعم من المتشابه، إذ إن كلّ متشابه مشكل، وليس كل مشكل متشابهًا.

وعند التأمل في هذه الأقوال يمكن الجمع بينها؛ فيقال:

من قال: هما مترادفان؛ فقد راعى المعنى اللغوي لهما، ومن قال: المتشابه أعم؛ نظر إلى المتشابه بالمعنى اللغوي وإلى المشكل بمعناه الاصطلاحي، ومن قال: المشكل أعم؛ نظر إلى المتشابه بالمعنى الاصطلاحي وإلى المشكل بمعناه اللغوي.

وعلى كلٍّ: فإن بين العِلْمين "المشكل والمتشابه" تداخلًا كما هو الحال بالنسبة لكثير من أنواع علوم القرآن، ومن الأمثلة على ذلك: علم معاني القرآن يدخل فيه علم غريب القرآن، وعلم مشكل القرآن وعلم الأساليب العربية التي استخدمها القرآن كعلم إعجاز القرآن وعلم البلاغة(٥).

---

(١) إحكام الفصول (١٧٦/١).
(٢) البرهان، الزركشي (٦٩/٢).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٤٦/٧).
(٤) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني (٢١٦/٢).
(٥) جهود الإمام ابن قتيبة ومنهجه في علوم القرآن، د. سعد بن مبارك الدوسري (٧٩٤-٧٩٨)، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام.

ثانيًا: ترجمة موجزة للكوراني

اسمه ونسبه وكنيته[١]:

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن إبراهيم الشهر زوري، الهمداني، التبريزي، الكوراني، القاهري، الرومي، الشافعي، ثم الحنفي.

ولادته: وُلد في قرية "جلولاء"[٢] في منطقة "كوران"[٣]، سنة (٨١٣هـ).

طلبه للعلم:

برز شغف الإمام الكوراني العلمية بالعلم منذ صغره، وتلقى تعليمه في بلاد العراق، والشام، ومصر، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى فنون العلم المختلفة التي تُدرس عادة في أول الطلب؛ كالقراءات، والعربية، والحديث، والفقه، وظل في طلب العلم، حتى تولى التدريس في عدة مدارس، منها المدرسة البرقوقية بالقاهرة، والتي درّس فيها الفقه[٤].

شيوخه:

تلقى الكوراني العلم على يد عدد من أكابر علماء عصره؛ من الفقهاء والأصوليين والمحدثين

واللغويين وغيرهم، ومن أشهرهم:

١. زين الدين، عبد الرحمن بن محمد بن العلامة سعد الدين القزويني، الشافعي، عالم بغداد، (ت: ٨٣٧هـ).

---

(١) انظر مصادر ترجمته في: إنباء الغمر، ابن حجر (١٢/٩)، الضوء اللامع، السخاوي (٢٤١/١)، البدر الطالع، الشوكاني (٣٩/١)، التاج المكلل، صديق خان (ص٣٦٦)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (١٠٤/١)، معجم المفسرين، عادل نويهض (٨٠/١).

(٢) جلولاء: بالمد، مدينة صغيرة عامرة من مدن العراق في أول الجبل، بها نخل وزروع. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١٨١/٢).

(٣) كُورَان –بضم الكاف وسكون الواو وفتح الراء– تطلق على المنطقة الواقعة بين كركوك وسهل شهرزور من العراق. انظر: الكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية (ص٢٦٣).

(٤) انظر: الضوء اللامع، السخاوي (٢/٨)، البدر الطالع، الشوكاني (١٨٤/٢)، شذرات الذهب، ابن العماد (١٥/٨).

أخذ عنه الكوراني القراءات السبع، ودرس عليه الشاطبية، وقرأ عليه الفقه على المذهب الشافعي، وحاشية للتفتازاني، وتلقى عنه النحو مع علمي المعاني والبيان والعروض[١].

٢. زين الدين، أبو ذر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الزركشي، المصري، الحنبلي، (ت: ٨٤٦هـ). وقد سمع الكوراني منه صحيح مسلم[٢].

٣. شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن أحمد الكناني، العسقلاني، ابن حجر، زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفًا، منها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (ت: ٨٥٢هـ). وقد لازم الكوراني الحافظ ابن حجر، وقرأ عليه صحيح البخاري، وشرح ألفية العراقي[٣].

تلامذته:

قضى الكوراني فترة كبيرة من حياته في التدريس، وتلقى على يديه كثير من الطلاب، في شتى مختلف الفنون والعلوم، وقد ذكرت كتب التراجم عددًا منهم، أشهرهم:

١. شكر الله الشيرواني: أصله من فارس، ارتحل من وطنه إلى بلاد الروم، واتصل بخدمة السلطان محمد الفاتح، وتقرب عنده لأجل الطب وكان طبيبًا حاذقًا، صاحب مروءة، وكانت له معرفة بالتفسير والحديث والعلوم العربية، سمع الحديث بالروم من الكوراني فأجازه وشهد له بالفضل والعلم والصلاح. مات في أيام دولة السلطان محمد الفاتح[٤].

---

(١) انظر: إنباء الغمر، ابن حجر (٢٩٠/٨)، الضوء اللامع، السخاوي (١٥٤/٤)، شذرات الذهب، ابن العماد (٢١٧/٧).

(٢) انظر: الضوء اللامع، السخاوي (١٣٦/٤)، حسن المحاضرة، السيوطي (٤٨٣/١)، شذرات الذهب، ابن العماد (٢٥٦/٧).

(٣) انظر: الضوء اللامع، السخاوي (٣٦/٢)، نظم العقيان، السيوطي (ص٤٥)، شذرات الذهب، ابن العماد (٢٧٠/٧)، البدر الطالع، الشوكاني (٨٧/١).

(٤) انظر: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشْكُبْري زَادَهْ (ص١٣٥).

٢. علاء الدين، علي بن عبد الله العربي، الحلبي، المعروف بابن اللجام، قدم الروم وأخذ عن علمائها العلوم المختلفة، ولازم الكوراني، وقرأ عليه حين كان مدرسًا بمدرسة السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان، وكان الكوراني يرجحه على غيره من تلامذته؛ نظرًا لنبوغه. مات بالقسطنطينية سنة (٩٠١ هـ) (١).

وظائفه ومناصبه:

تولى الكرواني عددًا من الوظائف العلمية والمناصب الإدارية في الدولة العثمانية؛ ومن هذه الوظائف والمناصب: التدريس بالمدرسة البرقوقية، ومدارس بروسة، وقضاء العسكر، ومنصب القضاء بالقسطنطينية، ومنصب شيخ الإسلام بالدولة العثمانية، وظل به حتى وفاته(٢).

وفاته:

توفي الكوراني بالقسطنطينية، في أواخر رجب، سنة ٨٩٣هـ، عن عمر يناهز الثمانين عامًا(٣).

آثاره العلمية:

بلغت عدد مؤلفات الكوراني عشرة، ما بين مؤلفات، وشروح، وحواش وتعليقات، وأشهرها:

١. **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني:** وسيأتي الحديث عنه.

٢. **الكوثر الجاري إلى أحاديث البخاري:** وهو شرح متوسط، رد في مواضع منه على الكرماني وابن حجر، وبيَّن مشكل اللغات، وضبط أسماء الرواة في موضع الالتباس، وذكر في مقدمته سيرة النبي ﷺ، وترجمة البخاري، وقد فرغ

(١) انظر: شذرات الذهب، ابن العماد (٥/٨)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكنوي (ص١٤٦).

(٢) انظر: الضوء اللامع، السخاوي (٢٤٢/١)، الشقائق النعمانية، طاشْكُبْري زَادَهْ (ص٥١).

(٣) انظر: الشقائق النعمانية، طاشْكُبْري زَادَهْ (ص١٢٢)، الطبقات السنية، الغزي (٢٨٢/١).

الكوراني من تأليفه في الرابع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة (٨٧٤هـ)[١].

٣. **الشافية في العروض والقافية:** وهي قصيدة رائية في العروض تشتمل على ستمائة بيت، نظمها سنة (٨٦٢هـ)، وأرسلها إلى السلطان محمد الفاتح.

وقد أثنى البقاعي على هذه القصيدة فقال: "وأرسل إلى بلاد الروم قصيدة رائية نظم فيها علم العروض، أجاد فيها في العلم، وإن كان نظمها وسطًا، نظمها للسلطان محمد بن مراد بن عثمان، سماها: "الشافية في علم العروض والقافية"، وهي ستمائة بيت"[٢].

ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على الكوراني ثناء عاطرًا، سواء ممن عاصره وترجم له، أو من جاء بعده.

قال شيخه المقريزي: " وقرأ علي -أي الكوراني- صحيح مسلم والشاطبية، فبلوتُ منه براعة، وفصاحة، ومعرفة تامة لفنون من العلم ما بين فقه، وعربية، وقراءات، وغير ذلك"[٣].

ويقول الإمام السيوطي: "ودأب في فنون العلم، حتى فاق في المعقولات، والأصلين، والمنطق، وغير ذلك، ومهر في النحو والمعاني والبيان، وبرع في الفقه، واشتهر في الفضيلة"[٤].

وقال طاشكبرى زاده: "الشيخ العارف، العالم، العامل، والفاضل الكامل، المولى شمس الملة والدين، أحمد بن إسماعيل الكوراني، كان -رحمه الله – عارفًا بعلم الأصول، فقيهًا"[٥].

---

(١) انظر: الضوء اللامع، السخاوي (٢٤٢/١)، الشقائق النعمانية طاشْكُبْري زَادَهْ (ص٥٣)، الطبقات السنية، الغزي (٢٨١/١).

(٢) انظر: الضوء اللامع، السخاوي (٢٤٢/١)، نظم العقيان، السيوطي (ص٣٩)، الطبقات السنية، الغزي (٢٨١/١).

(٣) انظر: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، المقريزي (٣٦٤/١).

(٤) نظم العقيان، السيوطي (ص٣٩-٤٠).

(٥) انظر: الشقائق النعمانية، طاشْكُبْري زَادَهْ (ص٥٣).

ثالثًا: التعريف بتفسير الكوراني

اسم الكتاب:

نصَّ الكوراني على تسمية الكتاب في مقدمة تفسيره؛ فقال: "وسميته خاضعًا لله، غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني"[١].

كما نقل هذا الاسم بعض من ترجم للكوراني، كحاجي خليفة[٢]،. والبغدادي[٣]، واللكنوي[٤].

المنهج العام للكوراني في تفسيره:

١. يبدأ المؤلف بذكر اسم السورة، وأوصافها عند تعدد التسمية.
٢. ويبين مكيتها أو مدنيتها، والخلاف فيها إن وُجد.
٣. ثم عدد آياتها، والخلاف في ذلك إن وجد.
٤. ثم يبدأ بتفسير الآيات تباعًا بذكر المعنى العام.
٥. ويبيّن أسباب النزول مع بيان درجتها حينًا، وأحيانًا نجده يقتصر على ذكر سبب واحد لنزول الآية، وغالبًا ما يكون هو الراجح، وأحيانًا على سببين أو أكثر دون ترجيح لأحدهما على الآخر.
٦. ويوضّح القراءات وله عناية بارزة بها، فهو يذكر القراءات المتواترة ويُعنى بتوجيهها، أما القراءات الشاذة فقليلًا ما يوردها في تفسيره.
٧. ويهتم اهتمامًا بالغًا باللغة، مع عناية بارزة ببيان أصل الكلمات واشتقاقها وتصريفها، وإيراد الشواهد الشعرية، واهتمامه بإعراب الكلمات القرآنية، وإيراد المسائل النحوية، واختلاف النحويين، كما عُني بعلم البلاغة في تفسيره، والتركيز على إبراز جانب الإعجاز البياني في القرآن.
٨. كما يُعنى بذكر الأحكام المستنبطة من الآية، وبيان الأقوال الفقهية دون إطالة في الخلافات الفقهية وأدلة المذاهب.

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٨٧/١).
(٢) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (ص١٩٠).
(٣) انظر: هدية العارفين، إسماعيل البغدادي (١٣٥/١).
(٤) غاية الأماني، الكوراني (٨٧/١).

٩. ويذكر الآثار المرفوعة إن وُجدت، كما ينقل أقوال الصحابة والتابعين عند الحاجة، وقد استفاد كثيرًا من الزمخشري والبيضاوي في هذا الباب، وزاد عليهما ببيان صحة الأقوال وضعفها، وأحيانًا يقوم بتوجيه الأقوال التفسيرية.

١٠. وله عناية بذكر مناسبة الآية لما قبلها، وقد أجاد في هذا الباب، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات والسور عمومًا. (١)

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب غاية الأماني، الكوراني (١/٦٩-٨٢).

المبحث الأول: دفع الإشكال بدلالة القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم هو أول مراتب التفسير بالمأثور وأعلاها، ذلك أن آي القرآن الكريم يوضح بعضها بعضًا، فما جاء مجملًا في آية بُيِّن في آية أخرى، وما جاء مطلقًا في موضع قُيِّد في موضع آخر، وما ورد عامًا في موضع خُصِّص في موضع آخر، وما أشكل وغمض فهمه في آية يأتي إيضاحه وبيان المراد منه في آية أخرى، ولهذا كان واجبًا على المشتغل ببيان المشكل العناية بهذا الجانب، إذ يُدفع الإشكال عن كثير من الآيات بدلالة آيات أخرى من القرآن الكريم، ومن هنا عُنِيَ الكوراني بهذا الطريق من دفع الإشكال؛ وتجلت تلك العناية في عدد من الآيات التي أزال الإشكال عنها، وأوضح المراد منها بدلالة القرآن الكريم، وقد وقفت على (١٤) موضعًا، موزعة بين سور (آل عمران، النساء، المائدة، الأعراف، الأنفال، هود، الحجر، النحل، الكهف، المؤمنون، غافر، فصلت).

والقارئ لتفسير الكوراني يلحظ في دفعه الإشكال عند القرآن بدلالة القرآن، أنه لم يسلك طريقة واحدة، بل نوّع في هذا الباب:

فأحيانًا يدفع الإشكال عن الآية بآية أخرى دون أن يُصرّح بوجود إشكال، ويترك ذلك لحصافة القارئ وفهمه، ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧] قال: ""وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ" كلام الرضى؛ لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ [الحجر: ٩٢]" [(١)].

فآية آل عمران نصّت على أن الله لا يكلمهم، ويترتب عليه عدم سؤالهم، وهذا النفي يعارضه ظواهر آيات أخرى، ذكرت أن الله يسأل الجميع؛ كآية سورة الحجر، فدفع الكوراني هذا الإشكال ببيان أن كلام الله المنفي في آية آل عمران هو كلام الرضا.

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (١/١١٤٣).

وأحيانًا أخرى يورد الإشكال وينص عليه بطريقته الشهيرة في هذا الباب، وهي (الفنقلة)، (فإن قيل)، (فإن قلت)، وهكذا، ومن الأمثلة على ذلك:

"فإن قلت: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [النساء: ١٥٣] يدل على أن اتخاذ العجل متأخر عن رجفة الجبل بهم.

قلت: "ثم" هناك محمول على التراخي الرتبي؛ للاتفاق على أن اتخاذ العجل كان قبل مجيء موسى بالتوراة، ولأنه حُكي في سورة البقرة قضية العجل قبل أخذ الصاعقة، والقرآن يفسر بعضه بعضًا"(١).

وهو يعني بذلك آيات سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥١-٥٥] (٢).

وقد يدفع الكوراني الإشكال عن الآية القرآنية بدلالة آيتين وأكثر، كما قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النساء: ١٦٠] أي: ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حِلًا لهم إلا بظلم عظيم، وهو الكبائر التي عدّدها، وتلك الطيبات هي التي ذكرها في الأنعام، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى آخر الآية.

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٢/٧٧٠-٧٧١).

(٢) انظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٦/٥٩٩).

فإن قلت: تحريمها من أحكام التوراة قبل الظلم والكفر بعيسى ومحمد -عليهما السلام-، والصد عن سبيل الله.

قلت: ابتداء التحريم كان لظلم منهم؛ لقوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، واستمراره من الظلم الحادث، ألا يُرى إلى قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] في نعت رسول الله ﷺ" (١).

وقد يستخدم الكوراني دلالة العموم والخصوص في رفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] حيث قال: "فإن قلت: أي فرق بين هذا، وبين قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]؟ قلت: يُحتمل أن يكون هذا مفسرًا لذلك، وأن يكون (من) عامًا في المؤمن والكافر"(٢).

وقد يدفع الكوراني الإشكال عن الآيات القرآنية بدلالة المجمل والمبين، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] فقال: "" مُرْدِفِينَ" مُتبعًا بعضهم بعضًا، من أردفته، إذا جعلته تابعًا، وهي لغة أكثر العرب، أو تابعًا بعضهم بعضًا، من قولك: أردفته، إذا اتبعته، قاله الزجاج والأخفش، وعلى الوجهين، معناه: تلاحق الملائكة إلى أن بلغ خمسة آلاف، فيوافق ما في آل عمران، فيكون ذلك تفصيلًا لهذا الإجمال؛ لأن تلك السورة متأخرة نزولًا"(٣).

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٢/٢٤٤).
(٢) غاية الأماني، الكوراني (٦/٢٩٤).
(٣) غاية الأماني، الكوراني (٣/٣٠-٣١).

وقد يدفع الكوراني الإشكال بدلالة آية وحديث معًا، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فقال: ""وَلَا يَتَسَاءَلُونَ" أي: لا يسأل بعضهم أحوال بعض؛ لشدة الأمر...، وهذا في أول الأمر؛ لقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الطور: ٢٥]، وفي الحديث: "يشفع المؤمن في سبعين من أقاربه وخلانه" (١)" (٢).

(١) الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه في دواوين السنة، إلا أنه ورد في حديث المقدام بن معد يكرب في فضائل الشهيد بلفظ: "ويشفع في سبعين من أقاربه" أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، ح(١٦٦٣) (ص ١٨٢٢)، وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ح(٢٧٩٩) (ص٢٦٤٦)، وصححه الألباني.

(٢) غاية الأماني، الكوراني (٧٩/٥).

المبحث الثاني: دفع الإشكال بدلالة السنة النبوية

لا تخفى منزلة السنة النبوية وأهمية موقعها مع القرآن الكريم، من حيث كونها شارحة لما خفي من معناه، وموضِّحة لما أشكل من فهمه، لذا فقد حرص أئمة التفسير على الاستعانة بالسنة النبوية في التفسير عمومًا، وفي دفع الإشكال خصوصًا.

يقول ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] – بعد أن ذكر الأقوال فيها –: "يحتمل أن يكون السبع من السُّور، ويحتمل أن يكون من الآيات؛ لكن النبي ﷺ كشف قناع الإشكال، وأوضح شعاع البيان؛ ففي الصحيح عند كل فريق ومن كل طريق أنها أمُّ الكتاب، والقرآن العظيم – حسبما تقدم من قول النبي ﷺ "هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"[1].

وبعد هذا فالسبع المثاني كثير، والكل محتمل، والنصُّ قاطع بالمراد، قاطع بمن أراد التكليف والعناد، وبعد تفسير النبي ﷺ فلا تفسير، وليس للمتعرِّض إلى غيره إلا النكير، وقد كان يمكن لولا تفسير النبي ﷺ أن أُحرِّر في ذلك مقالًا وجيزًا، وأسبك من سنام المعارف إبريزًا، إلا أنَّ الجوهر الأغلى من عند النبي ﷺ أولى وأعلى"[2].

ولقد اهتم الكوراني بهذا الطريق، واستعمله في دفعه الإشكال عن آيات القرآن الكريم، وفي تقوية ما يذهب إليه من التفسير، وقد أحصيت له عددًا من المواطن في تفسيره.

ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣] قال: "فإن قلت: إذا كان الخطاب للمسلمين، يلزم أن يكون كل مؤمن مجزيًا بسوء عمله.

قلت: هو كذلك، إلا أنه لا يلزم أن يكون في الآخرة؛ لما روى أبو سعيد وأبو هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "ما يصيب المؤمن من وصَب ونصَب، ولا سقم، ولا

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، ح (٤٤٧٤) (ص ٣٦٦).

[2] أحكام القرآن، ابن العربي (١١٣/٣).

حزن، حتى الهم يهمه، إلا كفّر به من سيئاته"[١] أو مقيد بعدم التوبة والعفو لسائر النصوص"[٢][٣].

ومن أمثلته أيضًا: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧] "قيل: نزل جبريل لما التقى الجمعان، وقال: خذ قبضة من الحصباء، وارم بها في وجوه المشركين؛ فقال لعلي -رضي الله عنه-: "ناولني من حصباء الوادي قبضة"، فناوله فرمى بها، وقال: "شاهت الوجوه"، فلم يبق واحد منهم إلا دخل عينيه منه شيء، فشُغِلوا به، وطفق المسلمون يقتلون ويأسرون[٤]...، والمعنى: أن ذلك الرمي وإن صدر منك مباشرة بصرف الآلة، ولكن إيصال التراب إلى عيونهم كلهم مع كثرتهم وتفرقهم، لم يكن إلا بصنعه تعالى"[٥][٦].

ومن أمثلته أيضًا: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧-٨] قال: "سهلًا من غير مناقشة تشق عليه، روى الشيخان وأبو داود والترمذي، عن عائشة -رضي الله عنها-، أن رسول الله ﷺ قال: "ليس أحد يُحاسب إلا عُذِّب"، قلت: أو ليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾؟ قال: "ذلك العرض، ومن نوقش في الحساب هلك"[٧]"[٨].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ح (٥٦٤١)، (ص ٤٨٣)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ح (٢٥٧٣) (ص ١١٢٩).

(٢) غاية الأماني، الكوراني (٢٠٨/٢).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٢٤٠/٩)، أنوار التنزيل، البيضاوي (٢٣٩/١).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٥/١٣)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم ٣١٢٨ (٢٢٧/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤/٦): "إسناده حسن".

(٥) غاية الأماني، الكوراني (٥٢/٣-٥٤).

(٦) انظر: معاني القرآن، الزجاج (٤٠٦/٢)، تفسير السمعاني (٢٥٥/٢)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥٧٠/٣).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب/ التفسير، باب/ "فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا"، رقم ٤٩٣٩ (١٦٧/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب/ إثبات الحساب، رقم ٢٨٧٦ (٢٢٠٤/٤).

(٨) غاية الأماني، الكوراني (١٠٤٦/٧).

المبحث الثالث: دفع الإشكال بأقوال السلف

اعتمد الكوراني في تفسيره على أقوال السلف بشكل كبير، واحتج به في جوانب متعددة؛ منها دفع الإشكال، وقد ظهر جليًا اهتمامه بهذا الجانب، إذ اعتمد في مواضع على تفسير السلف ومروياتهم في دفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ [النساء: ٣٣] قال: "عن ابن عباس ﷺ: كان قبل الإسلام يعاقد الرجل الرجل، ويقول: دمي دمك، وحربي حربك، وترثني وأرثك، وكان الأمر على ذلك في ابتداء الإسلام، حتى نُسخ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

فإن قلت: لا تنافي بين هذا وبين توريث الحلف. قلت: روى البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه قال: ذهب الميراث، ولكن يوصى له، وفسّر قوله: "فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ" على التناصر والنصيحة[١]"[٢][٣].

ومن أمثلته أيضًا: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ [النساء: ٤٢] قال: "روي عن ابن عباس ﷺ أنهم إذا رأوا مغفرة الله للمذنبين يقولون: "وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ" [الأنعام: ٢٣] فيختم على أفواههم، وتشهد عليهم جوارحهم، فحينئذ من شدة الخجل يودون أن لو لم يكذبوا في قوله: "وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ""[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة النساء) ، باب "وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ"، ح (٤٥٨٠) ، (ص٣٧٧).

(٢) غاية الأماني، الكوراني (٢/٨١-٨٢).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، النحاس (ص٣٣٤)، البسيط، الواحدي (١/٢٣٠).

(٤) غاية الأماني، الكوراني (٢/٩٩).

وأحيانًا يذكر الكوراني الإشكال ويدفعه بأثر من آثار السلف أو قريب منه، لكن دون تصريح بذلك، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: "﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩] قال: "هذا في أول الحال، قبل شفاعة رسول الله ﷺ للفصل والقضاء، فلا ينافيه ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]" [(١)].

فالكوراني دفع الإشكال عن الآيتين بكلام قريب من تفسير عكرمة، حيث قال: "إنها مواطن، يُسأل في بعضها، ولا يُسأل في بعضها"[(٢)].

(١) غاية الأماني، الكوراني (١٧٥/٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي (١٨٨/٩)، معالم التنزيل، البغوي (٢٩٠/٤).

المبحث الرابع: دفع الإشكال بعلوم القرآن

لا تخفى أهمية علوم القرآن في خدمة القرآن وفهمه وتفسيره، فعلوم القرآن لها أهمية كبرى في دفع الإشكال عن آيات القرآن، من خلال موضوعاته المتنوعة، وقد فطن الكوراني لذلك جيدًا، فوظّف علوم القرآن في هذا الباب، في عدة مواطن من كتابه.

ومن أمثلة ذلك:

أنه وظّف إجماع المفسرين في دفع الإشكال، فقال: "فإن قلت: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [النساء: ١٥٣] يدل على أن اتخاذ العجل متأخر عن رجفة الجبل بهم.

قلت: "ثم" هناك محمول على التراخي الرتبي؛ للاتفاق على أن اتخاذ العجل كان قبل مجيء موسى بالتوراة"(١).

كما وظّف الكوراني تاريخ النزول في دفع الإشكال عن القرآن، فيستعمل تقدم النزول في هذا الباب، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: ٦٩]، بقوله: "فإن قلت: ذكر في سورة البقرة "فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ " [البقرة: ٦٣] فلم اختصر هنا؟

قلت: لتقدم تلك نزولًا، فاكتفى بأصل الكلام"(٢)(٣).

وأحيانًا يستخدم تأخر النزول في دفع الإشكال، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: " وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ " [الحديد: ٢١] فقال: "إنما ذكر العرض لأنه أقصر الامتدادين، فإذا كان حاله كذلك، فما ظنك بالطول، والمراد جنس السماء؛ لقوله: "وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ " [آل عمران: ١٣٣].

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٢/٧٧٠).

(٢) غاية الأماني، الكوراني (٢/٣٦٣).

(٣) انظر: ملاك التأويل، الغرناطي (١/٢٢١).

فإن قلت: لم اختص كل بموقعه؟

قلت: لأن الثاني في آل عمران، وهو متأخر نزولًا، فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره"(١).

كما وظّف الكوراني باب الإخبار عن المستقبل في دفع الإشكال عن آيات القرآن، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧] فقال: "فإن قلت: السورة مكية، ولم يكن بمكة من آمن من أهل الكتاب، وإنما آمن به عبدالله بن سلام وأضرابه بالمدينة بعد الهجرة.

قلت: هو إخبار بما سيقع، يدل عليه قوله: "إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ""(٢)(٣).

(١) غاية الأماني، الكوراني (٢٨٦/٧).
(٢) غاية الأماني، الكوراني (٤٧٧/٤).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٧٠/٢١)، البحر المحيط، أبو حيان (٨٥/٦).

المبحث الخامس: دفع الإشكال بدلالة السياق

للسياق القرآني أهمية كبرى في التفسير؛ والغفلة عنه تؤدي للإشكال، والوقوع في الخطأ، ولهذا فإن النظر في السياق يعين على بيان المعنى، ومعرفة المراد، وبه يُدفع الإشكال في كثير من المواضع، وقد أشار الزركشي إلى أهمية السياق في دفع الإشكال؛ فقال: "ومما يُعين على المعنى عند الإشكال أمور:....

الرابع: دلالة السياق؛ فإنها تُرشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]، كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[1].

وقد أدرك الكوراني أهمية السياق، ووظّفه واستعان به في دفعه الإشكال عن آيات القرآن الكريم، وجعله أحد المرجحات في اختياراته في التفسير، في مواضع من تفسيره "غاية الأماني"، وقد أحصيت له (٣١) موضعًا، موزعة على سور (البقرة، المائدة، الأعراف، يونس، هود، يوسف، الحجر، الإسراء، الأنبياء، الحج، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، لقمان، السجدة، سبأ، ص، الزمر، غافر، فصلت، الجاثية، الأحقاف).

والكوراني لم يسلك طريقة واحدة، في دفع الإشكال عن آيات القرآن بدلالة السياق، بل نوّع في هذا الباب:

فأحيانًا نجده يستدل بسياق موضوع الآية في دفع الإشكال، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

[1] البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/٢٠٠).

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩-٢٦٠]، فقال: "فإن قلت: كل من عُزير وإبراهيم كان موقنًا بأن الله قادر على الإحياء، والخفاء في الكيفية، فلم أرشد إبراهيم من غير توقف، وأمات عُزيرًا مائة عام ثم أراه ذلك؟

قلت: لأن إبراهيم سأله متأدبًا سؤال مسترشد، وكان في عبارة عُزير معنى التعجب، ولذلك أراه في نفسه، وجعله آية للناس"(١).

وكما فعل عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٧] حيث قال: "وقد وصف نفسه بسرعة العقاب في آخر الأنعام(٢) وهنا، ولما كان هناك سوق الكلام مع المؤمنين، لم يُدخل اللام المؤكدة، وهنا كلامه مع من عتا من اليهود بعد إنزال بأسه بهم، أكّده باللام"(٣)(٤).

وقد يستعمل الكوراني سياق موضوع عدد من الآيات في دفع الإشكال عن الآية القرآنية، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨] فقال: "فإن قلت: خلق الإنسان كان بعد هذه المقالة، فلم لم يكن النظم على وفق الوجود؟ وما الحكمة في تقديمه؟

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٩٦٥/١).

(٢) يعني قوله تعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ " [الأنعام: ١٦٥]

(٣) غاية الأماني، الكوراني (٧٨٧/٢).

(٤) انظر: ملاك التأويل، الغرناطي (١٧٦/١)، نظم الدرر، البقاعي (١٤٢/٨).

قلت: كان الكلام مسوقًا للآيات والدلائل الدالة على الوحدانية وكمال القدرة والعلم، وخلق الإنسان على النمط المذكور، من أبهر الآيات"[1][2].

وقد يستعمل الكوراني سياق الجملة في دفع الإشكال عن الآيات القرآنية، كما فعل عند قوله تعالى: "وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا " [هود: ٩٤] فقال: "ذكر ساقتي –مؤخرة– قصة هود وشعيب بالواو؛ لعدم سبق ما يدل على السببية، بخلاف صالح ولوط، فإنه تقدم فيهما الوعد بالإهلاك بقوله: "إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ" [هود: ٨١] في قصة لوط، وقوله: "إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ " [هود: ٦٥] في قصة صالح؛ فلذلك جيء فيهما بالفاء الدالة على سببية ما قبلها"[3][4].

وقد يستعمل الكوراني سياق اللفظ اللاحق في دفع الإشكال، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧] فقال: "فإن قلت: السورة مكية، ولم يكن بمكة من آمن من أهل الكتاب، وإنما آمن به عبدالله بن سلام وأضرابه بالمدينة بعد الهجرة.

قلت: هو إخبار بما سيقع، يدل عليه قوله: " إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ""[5][6].

وقد يستعمل الكوراني سياق اللفظ السابق في دفع الإشكال، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ [الحجر: ١٢] فقال: "فإن قلت: لم آثر في سورة الحجر " نَسْلُكُهُ" بلفظ المضارع؟

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٤٢/٤).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٨٥/١٩).
(٣) غاية الأماني، الكوراني (٨٤٢/٣-٨٤٣).
(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري (٢٣٢/٣)، ملاك التأويل، الغرناطي (٦٥٦/٢)، نظم الدرر، البقاعي (٣٢٣/٩).
(٥) غاية الأماني، الكوراني (٤٧٧/٤).
(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٧٠/٢١)، البحر المحيط، أبو حيان (٨٥/٦).

قلت: لأنه فرّعه على قوله: "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ" [الحجر: ١١] الدال على استمرار الأمم المكذبة على الاستهزاء، والكلام هنا في كفار قريش المختوم على قلوبهم"(١)(٢).

وقد يستعمل الكوراني سياق موضوع السورة في دفع الإشكال عن آي القرآن، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ [الحجر: ٦١-٧٠]: "فإن قلت: النظم يدل على أن مقاولة لوط عليه السلام مع قومه كانت بعد علمه بأنهم ملائكة أُرسلوا لإهلاكهم، فلا وجه للاعتذار بعد علمه.

قلت: الواو لا يدل على الترتيب، ألا ترى أن قوله تعالى في سورة هود: "إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ "[هود: ٨١] إنما ذُكر بعد تلك المقاولة ويأسه عن قبول نصحه، وإظهار الأسف بقوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠].

فإن قلت: لم غيّر الأسلوب، ولم يرد النظم على وفق الوجود؟ فلابد لذلك من داع(٣).

قلت: لما كان هذه السورة مصدّرة بما فيه تسلية رسول الله ﷺ، بل معظم السورة إنما سيقت لذلك، كان مقتضى الحال تقديم ما هو دال على تفريج الهم عن الصابرين، وتنفيس الكرب عنهم" (١).

---

(١) يعني قوله تعالى: "كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ" [الشعراء: ٢٠٠].

(٢) غاية الأماني، الكوراني (٣٧٨/٥).

(٣) أي لم يقع ترتيب القصة حسب وقوعها، بأن يتقدم علمه بأنهم ملائكة على محاورته لقومه، كما وقع في سورة هود.

المبحث السادس: دفع الإشكال بدلالة اللغة

سبق الحديث في بيان منهج الكوراني في تفسيره، عن عنايته ومعرفته بلغة العرب وأساليبها، وعن إفادته الكبيرة من اللغة في جوانب عديدة من التفسير؛ منها: استخدامه اللغة في دفع الإشكال عن آي القرآن الكريم، واعتبارها أحد المرجّحات في اختياراته في التفسير، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ أحصيت له منها (١٨) موضعًا. وتجلى اهتمامه بهذا الباب من خلال الآتي:

أنه وظّف الإعراب في دفع الإشكال، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: " إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ " [الأنفال: ١١] فقال: "فإن قلت: فعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو[٢]، كيف يكون مفعولًا له، وشرط نصبه أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدًا؟

قلت: لما كان معنى (يغشاكم النعاس) تنعسون، انتصب على أن النعاس والأمنة لهم، والمعنى: إذ تنعسون لأمنكم"[٣].

كما وظّف الكوراني معاني الحروف في دفع الإشكال عن آي القرآن، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٧٩/٤).

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر (يُغْشِيكم) بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين مخففة وبعدها ياء ساكنة مدية ونصب النعاسَ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يَغْشَاكم) بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين مخففة وألف بعدها والنعاسُ بالرفع، وقرأ الباقون (يُغَشِّيكم) بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشددة وياء ساكنة مدية بعدها والنعاسَ بالنصب. انظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد (ص٣٠٤)، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٢٧٦/٢).

(٣) غاية الأماني، الكوراني (٣٦/٣-٣٧).

أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ [الحجر: ٦١-٧٠]: "فإن قلت: النظم يدل على أن مقاولة لوط عليه السلام مع قومه كانت بعد علمه بأنهم ملائكة أُرسلوا لإهلاكهم، فلا وجه للاعتذار بعد علمه.

قلت: الواو لا يدل على الترتيب، ألا ترى أن قوله تعالى في سورة هود: "إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ "[هود: ٨١] إنما ذُكر بعد تلك المقاولة ويأسه عن قبول نصحه، وإظهار الأسف بقوله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠]" (١)(٢).

كما استفاد الكوراني من إبدال الحروف مكان بعضها في توجيه المشكل القرآني، فقال عند تفسير قوله تعالى: " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ " [الإسراء: ٧]: "فإن قلت: لم عطف بالفاء، وكان الظاهر الواو؛ لأنه تفصيل المجمل؟

قلت: للدلالة على أن مجيء وعد عقاب الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم، وأنهم بطروا سريعًا، ونسوا ما كان حل بهم، ففاجأهم عذاب الله"(٣).

كما وظّف الكوراني قضية عود الضمائر واتساقها في دفع الإشكال عن الآيات القرآنية، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩] فقال: "فإن قلت: الضمير في قوله: "جَاءَهُ"، و"لَمْ يَجِدْهُ"، "وَوَجَدَ اللَّهَ" للظمآن، فكيف رتّب عليه قوله: " فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ" وذلك إنما هو للكافر يوم القيامة؟

قلت: المراد بالظمآن هو الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة، وقد غشيها السراب من شدة الحر، فيحسبه ماء، فإذا جاءه لم يجد ما رجاه، بل يرى الزبانية فيأخذونه إلى جهنم، ويسقونه ماء الحميم"(٤)(١).

---

(١) غاية الأماني، الكوراني (٧٩/٤).
(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (١٤١/١٠).
(٣) غاية الأماني، الكوراني (٣٢٧/٤).
(٤) غاية الأماني، الكوراني (١٧٣/٥).

كما وظّف الكوراني علم البلاغة في دفع الإشكال عن آي القرآن، وإظهار إعجازه، فقال عند تفسير قوله تعالى: " وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ " [فصلت: ٥]: "فإن قلت: هلا قيل: على قلوبنا أكنة، كما في سورة بني إسرائيل والكهف؟[٢]

قلت: المراعى في البلاغة جانب المعنى، وهو كذلك في الأسلوبين؛ لأن الاستعلاء والاحتواء من واد واحد، مع رعاية التفنن.

فإن قلت: كان العكس محصلًا لذلك، فلابد من اختصاص كل بموضعه من نكتة.

قلت: الكلام في بني إسرائيل والكهف منسوب إليه تعالى، فالاستعلاء والقهر أنسب، وهنا حكاية مقالهم، فالاحتواء أقرب"[٣].

---

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٤٩/٦)، الدر المصون، السمين الحلبي (٤١٣/٨).

(٢) يعني قوله تعالى: "وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ" [الإسراء: ٤٦]، وقوله: "إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ" [الكهف: ٥٧].

(٣) غاية الأماني، الكوراني (٣٥١/٦).

المبحث السابع: دفع الإشكال بدلالة التاريخ

القارئ المتأمل لتفسير الكوراني يجد أنه وظّف علم التاريخ ووقوع الحوادث، وترتيبها، في دفع الإشكال عن القرآن الكريم، وقد وقفت على عددٍ من المواطن في تفسيره، استعمل فيها دلالة التاريخ.

ومن أمثلة ذلك:

ما فعله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩] فقال: "فإن قلت: قد ذكر في آل عمران، أن الملائكة بشروها بغلام اسمه المسيح(١)، وهنا ذكر أن المبشر لذلك جبريل عليه السلام وحده.

قلت: كلام الملائكة والبشارة به، مع ذكره باسمه ولقبه، إنما كان بعد قصة جبريل؛ ولذلك اقتصرت على الاستبعاد هناك، ولم تستوعب الكلام بذكر البغي، وما جرى بينها وبين القوم من المحاورة"(٢)(٣).

ومن أمثلته أيضًا: عند تفسير قوله تعالى: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي" [طه: ٣٩] قال: "أي: خلقت حبك في قلوب الناس...، فإن قلت: كيف استقام محبة فرعون له، مع إخبار الله بأنه عدوه؟

قلت: لم يكن حين أحبه عدوًا"(٤).

ومن أمثلته أيضًا: ما ذكره عند تفسير سورة الفلق، فقال: "إذا صح أنه سُحر -النبي ﷺ- فكيف كذّبهم الله في قولهم: "إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا " [الإسراء: ٤٧]؟

قلت: هذه مقالة المشركين بمكة، وإنما سُحر بالمدينة، وعائشة -رضي الله عنها- عنده"(٥).

---

(١) يعني قوله تعالى: "إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ" [آل عمران: ٤٥].

(٢) غاية الأماني، الكوراني (٤/٦٦٠-٦٦١).

(٣) انظر: حاشية الطيبي على الكشاف (٢/٤٩٤).

(٤) غاية الأماني، الكوراني (٤/٧٧٤).

(٥) غاية الأماني، الكوراني (٧/١٣٥٩).

المبحث الثامن: دفع الإشكال بالاجتهاد

استطاع الكوراني بما وهبه الله من مَلَكات علمية، وبما فتح عليه من فهم، أن يجتهد ويتأمل في كثير من الآيات، ويدفع الإشكال عنها بما أداه إليه اجتهاده، وقد أحصيت له (٤٩) موطنًا، استعمل فيها الاجتهاد لدفع الإشكال عن آي القرآن.

ومن الأمثلة على ذلك:

عند تفسيره لقصة آدم عليه السلام في سورة البقرة، قال: "فإن قلت: ما وقع من آدم لم يكن إلا نسيانًا في الفروع، والنسيان مغتفر، فكيف سُمّي عصيانًا وغواية؟[١]

قلت: عوتب على ترك التحفظ، وفرط الاحتياط، والاغترار بقول العدو، مع قرب العهد بالتحذير منه، والتصريح بعداوته، والأنبياء والرسل يؤاخذون بالذرات، وآدم أول الناس وقدوتهم، فشدّد عليه؛ ترهيبًا لأولاده، ولطفًا بهم"[٢].

وقد يستعمل الكوراني الاجتهاد في دفع الإشكال، ثم يستدل عليه بالقرآن الكريم؛ لتأكيد ما ذهب إليه، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦] حيث قال: "فإن قلت: بعد المسخة لم يبقوا مُكلّفين، حتى يُتصور منهم ذنب.

قلت: يُحمل على ما سنُّوه من الصيد وسائر المعاصي، كما في قوله: "ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ" [يس: ١٢]، وقوله: "بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" [القيامة: ١٣]"[٣].

وقد يستعمل الكوراني المسلمات العقلية في دفع الإشكال عن آيات القرآن، كما فعل عند تفسير قوله تعالى: " ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا " [الزمر: ٤٢] حيث قال: "فإن قلت: التوفي: أخذ الشيء كاملًا، فكيف يستقيم في النائم؟

قلت: النائم والميت في عدم الحس والإرادة سواء، وبقاء التعلق لا يمنع ذلك الإطلاق"[٤].

---

(١) يعني قوله تعالى: "وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ" [طه: ١٢١]

(٢) غاية الأماني، الكوراني (١/٤٠٣-٤٠٤).

(٣) غاية الأماني، الكوراني (١/٤٧٠).

(٤) غاية الأماني، الكوراني (٦/٢٥٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد الانتهاء من هذا البحث، فهذه بعض النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

١. اعتنى الكوراني عناية بارزة بتوجيه ودفع الإشكال عن آي القرآن في تفسيره.
٢. تنوعت أصول توجيه المشكل القرآني عند الكوراني إلى التوجيه بدلالة القرآن، والسياق القرآني، والسنة النبوية، وأقوال السلف، وعلوم القرآن، والتاريخ، واللغة، والاجتهاد.
٣. برزت العناية الفائقة عند الكوراني في دفع الإشكال بدلالة السياق، وتنوعت آليات الاستعانة بالسياق في دفع الإشكال عنده.
٤. تنوعت صور دفع الإشكال في الأصل الواحد عند الكوراني، ولم تكن عنده وفق آلية واحدة؛ بل تنوعت صورها وأشكالها وأمثلتها، مما يدل على تمكنه من تلك الأصول، وبراعته في الإفادة منها في دفع الإشكال.
٥. سلك الكوراني طريق التفصيل والإيضاح في بيان المشكل القرآني ودفعه، وأحيانًا نادرة سلك طريق التوجيه المجمل دون تفصيل.

ثانيًا: التوصيات:

ما زال تفسير الكوراني يحتاج إلى مزيد عناية من الباحثين في عدد من الجوانب؛ منها:

١. دراسة الفنقلات في تفسيره.
٢. النقد عند الكوراني تأصيلًا، وتطبيقًا.

هذا والله أعلم، وقوله أحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢٤هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، ط/ دار العلم للملايين – بيروت، ط/ الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، ١٣٨٩هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر – بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٠هـ.
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الثانية، ١٤١١هـ.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/ دار المعرفة – بيروت.
- البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، ط/ دار المعرفة – بيروت ١٣٩١هـ.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/ الأولى، ١٤٣٠هـ.
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان القنوجي، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط/ الأولى، ١٤٢٨هـ.
- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك ابن أحمد فريد، ط/ دار النفائس – بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠١هـ.
- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢٤هـ.
- تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، ط/ دار الوطن – السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٨هـ.

- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/ دار طيبة – السعودية، ط/ الثانية ١٤٢٥هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط/ دار الفكر – بيروت ١٤٠٨هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، دون معلومات.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط/ الأولى، ١٣٨٧هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
- الزاهر في بيان معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ابن الأنباري، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ الأولى، ١٤١٢هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ط/ المكتب الإسلامي – بيروت، ط/ الرابعة ١٤٠٧هـ.
- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى، أبو بكر بن مجاهد، ط/ دار المعارف – القاهرة، ط/ الثانية، ١٤٠٠هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، ط/ دار ابن كثير – بيروت.
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، أحمد بن مصطفى بن خليل طاشْكُبْري زَادَهْ، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.

- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مطبوع ضمن (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة)، بإشراف الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٢١هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ط/ منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي، دون معلومات.
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، ط/ مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ.
- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، ط/ دار الحضارة – الرياض، ط/ الأولى، ١٤٣٩هـ.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكنوي
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ط/ دار الريان للتراث – القاهرة، ط/ الثالثة ١٤٠٧ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، ط/ مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، ط/ دار التفسير – السعودية.
- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الأفريقي، دار صادر- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط/ مكتبة القدسي – القاهرة، ١٤١٤هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى ١٤٢٢هـ.
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ط/ دار طيبة – الرياض ١٤١٢هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجَّاج، تحقيق: الدكتور عبد الجليل شلبي، ط/ دار الحديث – القاهرة، ط/ أولى ١٤١٤هـ.
- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط/ دار صادر – بيروت، ط/ الثانية، ١٩٩٥م.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم– الموصل، ط/ الثانية، ١٤٠٤هـ.
- معجم المفسرين مِن صَدر الْإِسْلَام وَحَتَّى الْعَصْر الْحَاضِر، عادل نويهض، ط/ مؤسسة نويهض – بيروت.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط/ مكتبة المثنى – بيروت.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط/ دار الغد العربي – القاهرة، ط/ الأولى ١٤١٢هـ.
- مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى.
- الناسخ والمنسوخ، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ط/ مكتبة الفلاح – الكويت، ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى ١٤١٨هـ.
- نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط/ المكتبة العلمية – بيروت.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* * *